Epidemics in Ancient Yemen through Inscriptions and the Cultural Indications of their Vocabulary

Mohammed Atbuosh

Abstract

This paper discusses epidemic incidents in the ancient history of Yemen, depending upon the Ancient South Arabian inscriptions in which these epidemics were mentioned. It also discusses the terms indicating the epidemics, their lexical derivation, semitic cognates, cultural significance, and its possible lexical survivals in the Arabic dialects of Yemen and Qira'at of the Quran. Furthermore, the paper investigates the dates of occurrence of these epidemics and the names of the cities that were exposed to them.

الأوبئة في اليمن القديم من خلال النقوش والدلالات الثقافية لألفاظها

محمد علي عطبوش

أستاذ، قسم الآثار الأسبق، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر

الملخص

تتناول هذه الورقة حوادث الوباء العام في تاريخ اليمن القديم، وذلك من خلال النقوش العربية الجنوبية التي جاءت على ذكر الوباء؛ حيث ترصد الألفاظ الدالة عليه، فتناقش اشتقاقها المعجمي ونظائرها السامية، ودلالتها الثقافية، وبقاياها المُحتملة في لهجات اليمن وقراءات القرآن، كما تتطرق الورقة إلى تواريخ حدوث الأوبئة وأسماء المدن التي تعرضت لها.

المقدمة

تعددت الألفاظ الدالة على الأمراض في النقوش، وتصدى لها عدد من الباحثين بالاستقصاء والدراسة، فنشر الأستاذ كرستيان روبان بحثاً بعنوان الحرب والوباء في ممالك جنوب الجزيرة العربية، نشره بالفرنسية عام 1992، ونُشرت بحوث عربية عن المرض في النقوش؛ مثل بحث د. باعليان (ألفاظ دالة على المرض)، وبحث د. فايز السعيد (نقوش سبئية جديدة في ذكر المرض)، وبحث د. عارف المخلافي بعنوان (الطب في اليمن القديم)، كما نشر كاتب هذه السطور سلسلة مقالات عن الطب في اليمن من خلال المصادر الإسلامية بعنوان "مدرسة اليمن الطبية المفقودة قبل الإسلام" في ثلاثة أجزاء. ولكننا هنا سوف نحصر الألفاظ الدالة على الوباء والمرض الفاشي، دوناً عن الأمراض التي تصيب أفراداً بعينهم. وفي الجدول التالي تتضح موارد هذه الألفاظ مع إيراد جزء من سياقها.

قائمة النقوش التي ذكرت الوباء

النقش	العبارة	المعنى
CIH 541/72-74	كن ضللم وعوسم بأشعبن وهجرن	حلّ الموت والوباء بالقبائل والمدينة
X.BSB 136/6 X.BSB 136/9-10	كضلل ثلثت أورخم وسيأ لموت بن موتم أو ضللم	بمرضه ثلاثة أشهر وساءت (حالته) لـ(حدّ)الموت. مِن موتٍ أو وباء
CIH 539/6-7	وعوسم وضللم ومحلم	ووباء ومرض وجفاف
CIH 557/6-7	عوس وموتن كون بكل أرضن	وباء وموت حلّا بكل البلاد
CIH 81/3-4	متعهمو بن عوس ذكون بأرضن	حماهم من وباء حلّ بالبلاد
Ja 645/13	بن خوم وعوس وموتت كون بأرضن	من مرض ووباء وموت حلّ بالبلاد
Ir 37/14 Ir 37/23	بن أحد خمطنم بوفيم بن هوت خمطنن	من مصيبة ما سالمين من تلك المصيبة
RES 4138/6-7	بن خوم ذكين بكل أرضن	من وباء حلّ بكل البلاد

Ja 513/8-10	لوفي جريبتهمو ووفي أأبلهمو وكل ركبهمو بن كل بأسم وكل ذربم	ليحفظ أبدانهم ويحفظ جمالهم وكل رَكبِهِم من كل بأس وكل كوليرا
MAFRAY-al-Ḥijla 1/2	بعدن بأت هجرهمو جرو وهجرن جرو وبأت	بعد جائحة مدينتهم "جرو" ووبائها
MAFRAY-al-Ḥijla 1/4	وبيوم كون سنتن بكل أرضن	وبيوم حلّ الوباء في كل البلاد
CIH 575/6	بن خبطن ذخبط دأين بأرضن	من الوباء الذي حلّ ببلاد دأيان
Ja 751/8-9	بن خبطن كون بهودت خرفن	من الوباء الذي كان بتلك السنة
Ja 666/5-7	حمدم بذت هوفي إلمقه بن محر كون بأرضن	حمداً لحفظ إيلمقه من وباء (كوليرا؟) حلّ بالبلاد
خ-غَول العَجْمَاء 2	بن ضرن وسنتن ومحر سوأم	من الحرب والوباء والدمار الشديد

محتوى النقوش

يجد المتتبع أن معظم النقوش التي تشير إلى الوباء بل الأمراض عموماً، تنتمي للفترة الواقعة بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين؛ مما يشير إلى أن الأمراض والأوبئة قد انتشرت في تلك الحقبة.

ومن تلك النقوش النقش CIH 557 الذي ينطوي على ابتهال تقدمت به امرأة اسمها "غضر" تشكر الإله "عززلت"؛ وذلك لنجاتها من وباء وموت، تصفه بأنه "كون بكل أرضن" أي كان بكل البلاد. أما النقش Ja 513 فإنه يتحدث عن إهداء جماعة تمثالين برونزيين "إبلم وإبلتم" (جمل وناقة) للإله ذي سماوي[1] ليحفظ أبدانهم ويحفظ جمالهم وكل رَكبِهِم من كل بأس وكل ذرب (أي كوليرا). والنقش الثالث من الحقبة نفسها CIH 81 يحكي قيام أحدهم بتقديم تماثيل ثيران مقابل نجاته من وباء أصاب البلاد في سنة "سِمه كرب بن تبّع كرب بن فضاح". ومثله النقش Ja 751 عن امرأة تدعى "أبحلك" قدمت تمثال أنثى للإله إيلمقه؛ جزاء حفظها من "هري هريت" موجة صقيع

(جاء في العين: وأهرأني البردُ، أي: أصابني بشدة، وأهْرَأْت: صِرْتُ في شدة البرد، ويقال: بل أَهرَأَ الرجل: أصابه البرد في رواح القيظ، ويقال: سيروا فقد أَهْرَأْتُم، أي: أَبْرَدْتم. والهَرِيّةُ: الوقت الذي يشتد فيه البردُ) [2]، وموجة الصقيع هذه أصابتها في كارثة حلت سنة "سمهكرب ابن أبكرب". ويتكرر هذا النوع من التأريخ[3] في النقش Ja 645 الذي يفيد قيام شخصين بإهداء للإله إيلمقه مقابل نجاتهما من مرض ووباء وموت حلّ بالبلاد في سنة "حيوم ابن أبكرب من قبيلة كبر خليل". وثمة خلاف حول التاريخ الدقيق لهذه الأعوام المؤرخة بالأسماء[4]، إلا أن النقوش الخمسة سالفة الذكر لا تخرج في جميع الأحوال عن الفترة الواقعة بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

أما النقش Ir 37؛ فهو يحكي تقديم تمثال برونزي للإله إيلمقه، باسم قائدين من قادة الملك شمر يهرعش هما (أب شمر)؛ وأخيه (رفأ أشوس)، وذلك وفاء لنذر نجاتهما من وباء أصاب مدينة مأرب. وذِكر الملك شمر يهرعش بكامل لقبه الملكي في هذا النقش يحدد تاريخه بتسعينيات القرن الثالث الميلادي، وذلك بناء على ورود اسم الملك شمر يهرعش بكامل لقبه في النقش المؤرخ بهذه المدة، وهو النقش YMN 13. ويبدو أن أحد هذه الأوبئة التي ضربت مدينة مأرب مراراً قد أصاب الملك "إيل شرح يحضب" (-240 260 م)[5]، وإليه يشير النقش العائد إلى الحقبة نفسها Ja 572 بكلمة "مرض"، وإن كان لا يوضّح ما إن كان المرض جائحة عامة أم حالة فردية أصيب بها الملك.

أما النقش RES 4138؛ فإنه يتحدث عن وباء أصاب كامل مدينة نعض (تبعد حوالي 45 كم جنوب صنعاء) في عهد الملك "ربشمس نمران" حاكم سبأ وذي ريدان. وعاش هذا الملك -بحسب الباحثة لونا جايدا- في القرن الثاني الميلادي[6].

أما النقش MAFRAY-al-Ḥijla 1؛ فإنه يحكي حدوث "وبأ" و"سنتن"؛ أي وباء في كل البلاد، وهذا النقش مؤرخ بعام 85 ردماني الموافق 154 للميلاد، لكنه ينص على أن الوباء حدث في عام 81 ردماني أي 150 للبلاد؛ أي قبل أربع سنوات من تدوين النقش. ورأى كرستيان روبان في ذلك دلالة على قوة هذه الكارثة؛ حيث ظلت في ذاكرة كاتب النقش ليدوّنها بعد مرور أربع سنوات، ويفترض روبان أن الوباء المذكور كان بداية للطاعون الأنطوني الذي ضرب الإمبراطورية الرومانية خلال عهد ماركوس

أوريليوس[7].

أما النقش CIH 575؛ فيحكي وفاء أحدهم بنذر نجاته من وباء حل بمنطقة "دأين" ولعلها مخلاف دأيان جنوب غرب مدينة صنعاء في بني مطر اليوم، ويعود النقش إلى الحقبة الواقعة بين القرن الأول ق. م إلى أوائل القرن الثاني الميلادي.

وهناك نقش زبوري برمز (X.BSB 136) يحتوي مراسلة يذكر كاتبها إصابته بوباء خطير (ضلل) لمدة ثلاثة أشهر دفعه إلى حافة الموت، ويطمئن كاتب الرسالة عن أحوال المستلمين ويسألهم عن تعرضهم للمرض أو حتى للموت (موتم أو ضللم) مما يوحي بانتشار وباء عمّ البلاد حينها[8].

ولدينا من الحقبة السبئية الأخيرة نقشان اثنان عن الوباء، الأول هو النقش CIH 539، وهو من العصر السبئي الأخير (بين القرنين الرابع والسادس)، يحتوي ابتهالاً للإله الرحمن، ويرجوه السلامة من الوباء والمرض والجفاف.

وآخر نقش زمنياً جاء على ذكر الوباء، هو نقش أبرهة CIH 541 المؤرخ بتاريخ 658 حميري، الموافق 543 للميلاد، ويحكي حلول وباء قاتل أثناء ترميم سد مأرب، حل بالقبائل والمدينة، وتسبب هذا الوباء بإيقاف أعمال ترميم السد؛ مما اضطر العمّال للعودة إلى قبائلهم، بعد أن أذِن لهم الملك أبرهة بذلك. ويرى كرستيان روبان أن هذا الوباء يمكن أن يكون امتداداً لطاعون جستنيان الذي نشأ في إثيوبيا[9]، وكان يقتل عشرة آلاف شخص في اليوم الواحد، بحسب المؤرخ بروكوبيوس[10]، وإن كان الرقم محل شك.

مؤخراً وفي أثناء تحضير هذه الورقة، تم نشر نقش جديد ورد فيه ذكر الوباء، ووُسِمَ النقش بالرمز (خ-غَول العَجْمَاء 2)، وقدر تاريخه بنهاية القرن الأول قبل الميلاد، وورد فيه دعاء نصه "هأخر يفع بن ضرن وسنتن ومحر سوأم" وقرأها ناشر النقش بمعنى "وليُبعِد (عنهم الإله عثتر ذو) يفاع الحرب والوباء والدمار الشديد"[11].

نقوش أخرى

يجد الناظر في نقوش المرض -لا الوباء- أنها أحياناً تحدد اسم المدينة التي تعرض

فيها الفرد للمرض، دون توضيح ما إذا كان وباء عاماً أم مرضاً خاصاً بفرد. لكن إذا أخذنا تحديد المدن كقرينة على الوباء فيها، فإن قائمة نقوش الوباء تتوسع، لتشمل نقوشاً أخرى.

ومن هذه النقوش النقش MAFRAY-al-Bayḍā 100، الذي يتميز عن بقية نقوش الوباء من حيث إنه لا يورد إحدى المفردات السابقة الدالة على الوباء، ولكن حديثه عن "حلظ" (مرض) أصاب أخا الملك وقادته في مدينة نشق، يوحي أن حالة وباء كانت عامة في مدينة نشق الواقعة في محافظة البيضاء في الجوف.

وكذلك النقش CIH 407، الذي يتحدث سطراه التاسع والعاشر عن حلظ (مرض) أصاب أحدهم لمدة ثمانية أشهر في مدينة مأرب. وهو نقش يرقى إلى نهاية القرن الثالث الميلادي. وتكرر إقران المرض بمدينة مأرب في النقش Ja 613، الذي يعود إلى الحقبة نفسها تقريباً، وتحديداً السنة السادسة من عام ذي ملية شهر وددإيل بن أبكرب بن كبر خليل.

أما النقش Ir 27؛ فإنه يوضح قيام جماعة بتقديم تمثال ثور برونزي للإله بحسب ما أوحى إليهم؛ وذلك لحمايتهم من مرض أصاب مدينة "حمدو"، ويرى الإرياني أن حمدو أو حمداو تقع في أراضي بكيل، قرب ريدة اليوم[12].

وكانت مدينة ظفار موضع أحد هذه الأمراض، بحسب النقش Ja 670 الذي يقدم أحدهم فيه تمثالاً برونزياً نذره للإله، بعد شفائه من "خنى" أصابه في ظفار.

وهناك نقوش تحكي إصابة أفراد بالمرض بعد ذهابهم في مهمات إلى مدن معينة؛ مثل النقش Ja 585 الذي يحكي تقديم أخويَن لتمثالين برونزيين حمداً لعودة والِدهِم من الحبشة وشفائه من مرض أصابه هناك في مدينة "س3وم"، وعانى فيها من "عسم حلظ ومرض"؛ أي من سقم دائم ومرض. وقُدر تاريخ هذا النقش بالنصف الأول من القرن الثالث الميلادي. ومن هذا القبيل النقش Ja 633 الذي يتحدث عن تقديم تمثال برونزي مقابل سلامة قائد يدعى "أبكرب أحرس" من مرض عضال أصابه خلال مهمة عسكرية إلى الحميريين في مدينة "ذي لحج" ولم يُشف منه إلا بعد سنة كاملة؛ حيث تلقى وحياً

من الإله بتقديم قربان ليشفيه .

وعلى كل حال فإن التفريق بين المرض الفردي، والأمراض المعدية، والوباء العام، ليس واضحاً دائماً في النقوش كما لاحظ روبان؛ لأن النقوش لا تزودنا بالكثير من التفاصيل للجزم بشأنها[13]، ولذلك فإن تحديد نقوش الوباء يبقى دائماً محل اجتهاد .

شرح مفردات الوباء ودلالتها

عوس

هي أكثر ألفاظ الوباء ظهوراً، والعوس في المعجم السبئي هو الوباء أو الطاعون[14]، وفي لهجات تهامة العوس هو اسم المرض . وهي مقلوبة عن "وعس" ، والوعسة والوهس والوهسة في اللهجة هو مرض التيفوئيد الوبائي[15] . وإذا جوّزنا إبدال السين صاداً، فإن العوص في المعاجم العربية هو الشِدّة، والعَوْصَاءُ من الدَّواهي : الشَّديدَةُ، والعَوْصَاءُ : الأَمْرُ الصَّعْبُ[16]، وجاءت كلمة "عصت" في نقش عربي صفائي برمز (CEDS 183) بمعنى شِدة، مَشَقّة .

ضلل

لا مُقابل لها في المعاجم العربية، ولكن يمكن مقارنتها بمثيلها في اللغات العربية الجنوبية الحديثة، فهي تقابل "źlél" في الجبالية؛ بمعنى "ألم شديد، روماتيزم، ألم يمنع النوم" ، وتقابل في المهرية "teźláyl" تضليل، بمعنى روماتيزم حسب معجم لاسلاو[17] وإن كانت مستخدمة في اللغة المهرية حالياً بمعنى عموم الألم، فيُقال "عيني تضلول" ؛ أي تؤلمني، بضاد احتكاكية تُنطق بين الضاد والظاء[18] . لكن عند سماع هذه الكلمة بنطق المتحدثين باللغة المهرية، يبدو الشبه واضحاً بينها وبين كلمة "تصليل" ، وكلمة "تصليل" في المعاجم العربية تشير إلى الريح الفاسد : صَلَّ الشَّيْءُ : أَنْتَنَ، والصُّلُولُ هو النَّتْنُ، والمِصَلُّ هو الشَّدِيدُ النَّتْنِ[19] . ومن ذلك ما ورد عن قراءة الحسن البصري للآية (وَقَالُوا

أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) قرأ (إِذَا صَلِلنا) بالصاد، ويعلق الفراء على ذلك: "صَلِلنا بالصاد ولست أعرفها، إلا أن تكون لغةً لَمْ نسمعها إنما تَقُولُ العرب: قد صَلّ اللحمُ"[20].

ربما أمكننا أيضاً ربط كلمة "ضلل" التي تشير إلى وباء في النقوش، والتي تُنطق تضليل في المهرية، بكلمة تضليل القرآنية في سورة الفيل (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ).

حيث تذكر كتب التفسير أن عقاب أبرهة وأصحاب الفيل كان هو مرض الجُدري، بل إنه كان أول جدري عرفته العرب. جاء في تفسير عبد الرزاق الصنعاني: "لَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ الْحِجَارَةَ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ، جَعَلَ لَا تَقَعُ مِنْهَا حَجَرٌ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَّا نَفَطَ مَكَانُهُ، قَالَ فَذَلِكَ أَوَّلُ مَا كَانَ مِنَ الْجُدَرِيِّ"[21]، لاسيما أن نقش الملك أبرهة (CIH 541) يتحدث عن وباء أصاب البلاد في أثناء ترميم سد مأرب، ووصف الوباء في هذا النقش بالكلمة نفسها (ضللم).

خمط

تشير هذه الكلمة في المعاجم العربية إلى معنى الرائحة الطيبة. جاء في لسان العرب "خَمَطَتُه رائحتُه... أَرض خَمْطةٌ وخَمِطةٌ: طيبةُ الرَّائِحَةِ"[22]، بينما في النقوش هي الوباء[23]، فهي من الأضداد. وهو ما يدل على اعتقاد سكان جنوب الجزيرة العربية بنظرية الميازما Miasma theory، التي يفسر بها أبقراط المرض عبر الريح أو الهواء الملوث[24]. ويمكن تأكيد هذا الرأي من خلال المصادر الإسلامية، التي تذكر قدوم الطبيب اليمني "ضِماد بن ثعلبة الأزدي" إلى الرسول وقال له "يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أداوي من الريح فإن شئت داويتك"[25]. والمقصود بالريح هنا أن هذا الطبيب كان يعتقد بنظرية الميازما. وتسمية الأمراض بكلمات دالة على الريح هي ظاهرة موجودة أيضاً في اللغة العربية، في جذور عدة مثل: شوط[26]، شوص[27]، غمق[28]، سفي[29]، نفخ[30]. وقد يقودنا البحث عن مصدر اعتقاد اليمنيين بهذه النظرية إلى علاقات ثقافية مع شعوب أخرى، تلقفوها عنهم.

خبط

ذكر الزبيدي "الخُباطُ: داءٌ كالجُنونِ وليسَ بِهِ... والخَبْطَةُ: الزَّكْمَةُ"[31] والخبط يقابله في الجعزية (ḫəbaṭ)؛ أي تورم[32].

ذرب

ذرب في المعجم السبئي هو نوع من المرض، هيضة، كوليرا[33]. أما في تاج العروس "الذَّرَبُ: فَسَادُ الجُرْحِ واتّسَاعُهُ، يُقَال: ذَرِبَ الجُرحُ ذَرَباً فَهُوَ ذَرِبٌ: فَسَدَ واتَّسَعَ، وَلم يَقْبَلِ البُرْءَ والدَّوَاءَ، والذَّرَبُ هُوَ سَيَلاَنُ صَدِيدِه، أَي الجُرْحِ... فَسَادُ المَعِدَةِ وذَرِبَتْ مَعِدَتُهُ تَذْرَبُ ذَرَباً، كالذَّرَابَةِ والذُّرُوبَةِ بِالضَّمِّ، فَهِيَ ذَرِبَةٌ وصَلاَحُهَا وَهُوَ ضِدٌّ، وذَرَبُ المَعِدَةِ: حِدَّتُهَا عَن الجُوعِ والذَّرَبُ المَرَضُ الَّذِي لَا يَبْرَأُ، وَفِي حَدِيث أَبي بكر -رَضِي الله عنهُ- مَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: ذَرَبٌ كالدُّمَّلِ. يُقَال: ذَرِبَ الجُرْحُ إِذا لم يَقْبَلِ الدَّوَاءَ، وَفِي الحَدِيث فِي أَلْبَانِ الإِبلِ وأَبْوَالِهَا شِفَاءُ الذَّرَبِ هُوَ بالتَّحْرِيك: الداءُ الَّذِي يَعْرِضُ لِلْمَعِدَةِ فَلاَ تَهْضِمُ الطَّعَامَ وتَفْسُدُ وَلاَ تُمْسِكُه"[34].

بأت/وبأت

وباء، جاء في العين "وبأ: الوباء: الطّاعون، وهو أيضاً كلّ مَرَض عامّ"[35].

سنت

في المعجم السبئي من الجذر "وسن" بمعنى سِنة؛ أي مَرَض[36]. ويذكر نشوان الحميري من معانيها "وسن الرجلُ: إذا غُشي عليه من نتن ريح البئر، مثل أَسِنَ"[37]، فهي تدخل ضمن ألفاظ الوباء الدالة على الاعتقاد بالميازما أو الريح الفاسدة. ومن شواهدها في الشعر قول أبي زُبيد الطّائيّ يصف كلباً يبحث عن مهرب من الهمّ الذي أصابه من ملاقاته ثمانية جراء[38]:

وَظَـنَّ أَكْــدَرُ، أَنْ تَـمُّـوا ثَـمانِيَةً، أَنْ قَـدْ تَـجَلَّلَ أَهْـلُ البَيتِ بِاليُمَنِ
فَخَـافَ غِرَّتَهُـمْ لَمَّـا دَنَـا لَهُـمُ فَـحَـاصَ أَكْــدَرُ مَشْفِيّاً مِـنَ الـوَسَـنِ

خوم

جاء في تاج العروس "أرضٌ خَامَةٌ أَي وَخِمَةٌ وَبِيئَةٌ"[39]، والخمّ والخَمَامة في لهجة دثينة هي الرمامة والرائحة الكريهة[40]. ونلاحظ أنها من الألفاظ الدالة على الرائحة.

محر

قال الأزهري "وَلَا يُعْرَف مَحَر فِي شَيْء من كَلَام الْعَرَب"، ونقل عبارته كلّ من ابن منظور والزبيدي[41]. وكلمة محر في هذا النقش تحديداً وقع فيها خلاف بين الباحثين في النقوش. المعجم السبئي لبيستون يضعها مكررة تحت الجذرين "حرر" و"حور" ويقرؤها في الأول بمعنى "ارتفاع حرارة" وفي الثاني "تخريب، تدمير"[42]، ومعجم Biella السبئي يضع محر تحت الجذر "حرر" ويقرؤها "جفاف"[43] غالباً اعتماداً على كلام ابن منظور (وَرَجُلٌ مُحِرٌّ: عَطِشَتْ إِبله)[44]. أما كرستيان روبان؛ فقرأ محر بمعنى "وباء؟"[45] وعلامة الاستفهام تعني شكّه في معناها. من معاني محر في اللهجة اليمنية "تعكير الماء" وذكر الإرياني المثل القائل "أخسّ البقر تمحر الماء"[46]، وقيل لي إن من معاني محر في لهجة تعز "قيء، إسهال شديد" فيُقال "لا تمحر بطوني"؛ أي لا تُصِب معدتي بالغثيان[47]. والمحر في اللهجة أيضاً هو تقليب الأرض وحراثتها، ووردت محر بهذا المعنى بصيغه "محرتهمو" في النقش YMN 13/6. ويبدو أن كل ذلك ضمن حقل دلالي واحد يشير إلى التقليب والتحريك؛ وعليه فإن محر تشير إلى وباء يحرك البطن فيسبب القيء والإسهال ولعله الكوليرا[48]. ومن الجدير بالذكر أن المَثَل الذي ذكره الإرياني "أخسّ البقر تمحر الماء" معروفٌ في يافع بالاستبدال بكلمة "محر" "خمج" فيقال "خَسّ البقر خمَّج الماء"، والخامج في لهجة يافع وأبين هو مرض الجدري[49]، وهذا يؤكد المعنى المُترح لكلمة محر (بمعنى وباء أو مرض)، قياساً على معنى كلمة خمج في أبين ويافع (بمعنى مرض).

أفق

كلمة أخرى يمكن عدها من شواهد نظرية الهواء الفاسد في نقوش المرض، هي "تأفقن" الواردة في النقش CIH 126/11؛ بمعنى "تعرض لعدوى مرض"[50]. لا يأتي الجذر "أفق" بمعنى المرض في المعاجم العربية، ولكن المعاجم تشترك بذكر تعبير "فلان تأفّقَ" بمعنى جاء من أُفق، أي جاء من مساحة واسعة[51]. أما عند الزبيدي؛ فالأَفِيقةُ مُبدلة عن الأَفِيكَة وهيَ الداهِيَةُ المُنْكَرَةَ[52]. والدلالة التي يعرضها الزبيدي قريبة من دلالة المرض من حيث إنه شرٌّ مُنكر، لكن دلالة الأفق أيضاً لافتة. وبالنظر إلى ما قد مر علينا من ارتباط المرض بالهواء والريح في النقوش، فإنه يصبح من المقبول أن نربط تعبير تأفقن بالأفق؛ أي المساحة التي تأتي منها الريح والهواء الفاسد، لاسيما أن كلمة الأَفِيق تعني: الجلد الذي فرغ من دباغهِ وفيه بقية رائحة[53].

وهذا الاشتراك الدلالي في الجذر الواحد بحمله دلالة المساحة والريح والمرض معاً، له مثالٌ نموذجي عند الزبيدي أيضاً، في مادة "شوط" التي منها معنى الريح ومعنى المسافة ومعنى المرض: (الأَشْواطِ يَعْني الرِّيح. وشَوَّطَ سَفينَتَه، إذا سافَرَ بهَا . . . والتَّشْويطَةُ اسمُ تِلْكَ المَسافَة، وَقد يُكْنَى بهَا عَن الطّاعون والأَمْراضِ المُهْلِكَةِ)[54].

من معاني الجذر "أفق" في المعجم السبئي "صد، أمسك ريحاً"[55]. وهو بذلك يقابل الجذر epēqu الذي منه كلمة uppuqu في الأكادية؛ بمعنى "صد، أمسك"[56]، ويشير إلى مرض معْدٍ يصيب الأطفال والبالغين على حد سواء[57].

وقد يكون للجذر "أفق" علاقةُ إبدالٍ مع الجذر "عفق" في العربية؛ أي ضربته الريح[58]، قال الشاعر سُويد بن كُراع العُكْليّ، يصف ريحاً تضرب النار[59]:

وَإِنْ تَكُ نَاراً فَهِيَ نَارٌ بِمُلْتَقًى مِنَ الرِّيْحِ تَزْهَاهَا وَتَعْفِقُهَا عَفْقا

لاسيما أن ابن منظور يقول: "وعَفَقَ يَعْفِقُ عَفْقاً: ضَرَطَ، وَقِيلَ: هِيَ الضَّرْطَةُ الْخَفِيَّةُ"[60] وكلها معانٍ تدل على الريح.

والمُلاحظ أننا لا نجد الجذر "**طعن**" بين ألفاظ الوباء في النقوش العربية الجنوبية، بل إنه لا يرد ضمن ألفاظ المرض كلها. في حين أنه وارد في النقوش الشمالية في النقش (AH 210)[61]. ربما يكشف ذلك فوارق ثقافية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، فاعتقد سكان شمالها أن الوباء سببه "طعن الجن" كما يقول الجاحظ: "فالطّواعين هي عند العرب رماح الجن"[62] بينما غاب هذا الاعتقاد عن سكان جنوب الجزيرة، الذين يبدو أنهم لم يعرفوا فكرة الجن قبل الإسلام[63]. وقد يكون هذا الربط بين الجن والمرض عند العرب، هو سبب تسمية الريح "زوبعة" على اعتبار أن المرض هو الريح والمرض من الجن فيقول الفراهيدي: "الزّوبَعَةُ: اسمُ شيطانٍ، ويُكْنَى الإعصارُ أبا زَوْبعة حين يدوم ثم يرتفعُ إلى السَّماء ساطعاً، يقال فيه شيطان مارد"[64].

ولكنهم بالمقابل اعتقدوا بنظرية الهواء الفاسد، وربما يُضاف إلى الشواهد الدالة على هذه النظرية في نقوش المرض، كلمة "تأهرن" الواردة في النقش Ja 702 /13؛ بمعنى التهاب الأضراس؛ لأن "التَهْر" في اللهجة اليمنية هو البخار الحار المتصاعد لاسيما من الفم[65]، واللافت أن الهمداني ذكر هذه الكلمة في سياق خيميائي عند قوله: إن صانع سبائك الذهب يُسخّنها، "**فإذا بردت نُكه فيها من تهر الفمّ**"؛ أي من حرارته، وأشار الإرياني إلى هذه الكلمة، وإن كان محققو الكتاب قد ظنوها تصحيفاً فجعلوها "نهر" مع التنبيه في الحاشية على أنها "تهر" في المخطوط المحفوظ في جامعة أبسالا[66]. فوصفُ التهاب الأسنان في النقش بأنه تأهرن يوحي بعلاقة فكرة البخار أو الهواء الحار وربما الفاسد بالتسبب بمرض الأسنان. وقد تحدث ابن سينا عن أمراض الأسنان، وذكر من أسبابها "**الأبخرة الصاعدة من المعدة وتصير سبباً للخطر**"[67]، وفي فصل أوجاع الأسنان يقول: "**وأسباب أوجاع الأسنان: إما سوء مزاج ساذج من برد أو حر ... أو ريح ... ومبدأ المادة إما من المعدة أو من الرأس**"[68].

النتائج

نخلص مما سبق إلى عدة نتائج، منها:

1 – تعرض اليمن القديم لعدة حوادث وباء عامة، وخاصة في القرنين الثاني والثالث

الميلاديين.

2 – وصل طاعون جستنيان إلى اليمن.

3 – عرفت الأوبئة بألفاظ مختلفة هي: عوس، ضلل، خوم، خمط، ذرب، سنت، بأت، محر.

4 – لم يُعرف لفظ "طعن" ولا "طاعون" في النقوش المكتشفة.

5 – تدل ألفاظ الوباء في النقوش اليمنية على اعتقاد اليمنيين بنظرية الهواء الفاسد في انتقال المرض.

6 – تأثرت الحياة العامة سلباً بهذه الأوبئة.

7 – قُدمت القرابين والنذور للآلهة حمداً وعرفاناً بعد زوال الأوبئة.

8 – بقيت بعض ألفاظ الوباء في اللهجات اليمنية المعاصرة، وكذلك في اللغات العربية الجنوبية الحديثة، كالجبالية والمهرية.

9 – يحتمل بقاء بعض ألفاظ الوباء في قراءات القرآن، بطريقة تتيح تقديم تفسيرات جديدة لبعض الآيات.

الهوامش والمراجع

(1) قارن هذا النقش (Ja 513) بالنقش RES 4145 الذي يهدي فيه أحدهم "إبلتم"؛ أي ناقة، لنفس الإله، وكذلك النقش GI 1638 الذي يُهدى فيه ناقتين لذي سماوي. وقد عرفت أهمية هذه الإله باعتباره حام للجمال (الإبل)؛ فهو حام للقوافل التي تعد الأساس في العملية التجارية في اليمن القديم.
العريقي، منير عبد الجليل: "مكانة المعبود ذي سموي في الديانة اليمنية القديمة"، **مجلة أدوماتو**، العدد 11، ص33، 36، 37.

(2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 4/ 85.

(3) الإرياني، مطهر: **نقوش مسندية وتعليقات**، الطبعة الثانية، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1990، ص301–300.

(4) أ. ج.، لوندين: **دولة مكربي سبأ**، ترجمة: قائد محمد طربوش، ط1، اليمن: إصدارات جامعة عدن، 2004، ص150، 170.

– Avanzini, Alessandra. **Criteri editoriali per la pubblicazione dello CSAI. Egitto e Vicino Oriente.** 2008, 31: 145-157.

(5) النعيم، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة، ص72.

(6) – Gajda, Iwona. **Rabbshamsum roi de Sabȧ et dhū-Raydān et les guerres du IIe siècle de l'ère chrétienne**. 2013, p.69-71.

(7) – Robin, Christian J. **Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du Sud**. 1992, p.230, 234.

(8) – Stein, P. **Die altsüdarabischen Minuskelinschriften auf Holzstäbchen aus der Bayerischen Staatsbibliothek in Münche**. 2010, p.478.

(9) – Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du Sud, p.234.

(10) – PROCOPIUS, History of the Wars, II.xxii-xxxiii.

(11) نعمان، خلدون؛ هزاع، عبده: "وثائق مدوّنة بخط المسند عن قبيلة شِبَام بَكِيل وقبيلة ميْتم: دراسة لغوِّية تاريخية"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة ذمار، ع 17، 2020، ص385 – 388.

(12) نقوش مسندية، ص181.

(13) – Guerre et épidémie dans les royaumes d>Arabie du Sud, p.233.

(14) بيستون؛ ريكمانز؛ مولر؛ الغول، محمود: **المعجم السبئي**، اليمن: منشورات جامعة صنعاء، 1982، ص23.

(15) الإرياني، مطهر: **المعجم اليمني في اللغة والتراث**، الطبعة الثانية، مؤسسة الميثاق، 2012، ص783؛ الهيال، عُباد بن علي أبو حدرا، **في لغة نقوش اليمن**، ط 2، صنعاء: دار النظرية، 2019، ص243.

(16) الزبيدي: **تاج العروس**، د.ت، 49/ 18.

(17) موقع المعجم السبئي الألماني على شبكة الإنترنت: http://sabaweb.uni-jena.de/SabaWeb/: مادة: dll.

(18) بحسب إفادة الدكتور عامر فائل بلحاف، أستاذ اللغة والنحو في قسم اللغة العربية بجامعة نجران، ورئيس مركز اللغة المهرية للدراسات والبحوث، وزودني مشكوراً بتسجيل صوتي للكلمة بصوت أحد الناطقين الأصليين بالمهرية، وأكد لي معناها الدال على المرض والألم.

(19) معجم الدوحة التاريخي: مادة: صلل.

(20) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: **معاني القرآن**، ط1، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، 331/ 2.

(21) تفسير عبد الرزاق، 461/ 3؛ تفسير الرازي، 292/ 32؛ أخبار مكة للفاكهي، 189/ 3؛ سيرة ابن اسحاق، ص65؛ التيجان في ملوك حمير، ص314؛ وانظر تفسير الشيخ محمد عبده لمعنى طير أبابيل في عبده، محمد: تفسير جزء عم"، **الجمعية الخيرية الإسلامية**، ط3، مطبعة مصر، 1341، ص158–157، ومن تبعه في ذلك مثل تلميذه محمد رشيد رضا في مجلة المنار، 24/ 32، وأحمد المراغي في تفسير المراغي، 243/ 30.

(22) ابن منظور: **لسان العرب**، ط3، بيروت: دار صادر، 1414 هـ، 7/ 297.

(23) المعجم السبئي، ص61.

(24) – Kannadan, A. **History of the Miasma Theory of Disease. ESSAI, 2018.** 16 (1), 18.

(25) البيهقي: **دلائل النبوة**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، المقدمة: ص35.

(26) تاج العروس، 429/ 19.

(27) لسان العرب، 50/ 7.

(28) لسان العرب، 265/ 26.

(29) تاج العروس، 285/ 38، 286.

(30) العين، 277/ 4.

(31) تاج العروس، 19/ 233–234.

(32) موقع المعجم السبئي الألماني على شبكة الإنترنت: http://sabaweb.uni-jena.de/SabaWeb/: مادة: ḥbṭ.

(33) المعجم السبئي، ص 40.

(34) تاج العروس، 2/ 430 – 431.

(35) العين، 8/ 418.

(36) المعجم السبئي، ص163.

(37) الحميري، نشوان: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ط1، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 1999، 7163/ 11؛ وكذلك في: تاج العروس، 256/ 36.

(38) معجم الدوحة التاريخي: وسن.

(39) تاج العروس، 32/ 130.

(40) - Landberg, Carlo de: **Glossaire datînois**, 3 Vols., Leide: E.J. Brill, Vol.1, p.639.

(41) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001، 40/ 5؛ لسن العرب، 160/ 5؛ تاج العروس، 90/ 14.

(42) المعجم السبئي، ص. 74، 71

(43) - Biella, J. C. **Dictionary of Old South Arabic, Sabaean dialect. Chico: CA.** Scholars Press, 1982, p.192.

(44) لسان العرب، 179/ 4.

(45) - Robin, Christian J. **Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du Sud**. 1992, p.234.

(46) المعجم اليمني في اللغة والتراث، ص965.

(47) بحسب ما تفضل بذلك الأستاذ توفيق السامعي والشاعر محمد حميد العذري.

(48) علماً أن الجذر "محر" يرد في نقوش أخرى بمعنى decree (مَرسوم، أمر). انظر: المعجم السبئي، ص73، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة، ص142. وفي معجم Biella الجذر "محر" يعني "سعر، ثمن" قياساً على محر في العبرية מְחִיר بمعنى سِعر. وفي اللهجة "المحر" أداة زراعية على شكل لوح معدني يُربط بالحبال ويجره ثور أو أكثر لتسوية الأرض (الشماري، محمد ضيف الله محمد: **لهجة خبان دراسة لغوية**، صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، 2004، ص236؛ المقرمي، عبدالله محمد حزام: **ذاكرة المعافر، مفردات خاصة من اللهجات اليمنية لبلاد المعافر (الحجرية)**، اليمن: مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، 2013، ص57).

(49) الخلاقي، ص 111، 103.

(50) المعجم السبئي، ص2.

(51) تهذيب اللغة، 258/ 9؛ لسان العرب، 5/ 10؛ الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص865.

(52) تاج العروس، 17/ 25.

(53) معجم الدوحة التاريخي: أفق؛ العين، 227/ 5.

(54) تاج العروس، 429/ 19.

(55) المعجم السبئي، ص2. انظر النقش Ir 28.

(56) CAD, 4/184. -

(57) Scurlock, J. A., & Andersen, B. R. **Diagnoses in Assyrian and Babylonian medicine: ancient sources, translations, and modern medical analyses. Urbana.** University of Illinois Press., 2005, p.232. -

(58) "عفقت الريحُ الترابَ: إذا ضربته" (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، 4636/ 7)، (تاج العروس، 162/ 26).

(59) معجم الدوحة التاريخي: عفق.

(60) لسان العرب، 253/ 10.

(61) أبو الحسن، حسين: **نقوش لحيانية من منطقة العلا، دراسة تحليلية مقارنة**، ط1، 2002، ص71.

(62) الجاحظ: **الحيوان**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 234/ 1.

(63) عطبوش، محمد: **الفكر السحري في الإسلام**، ط2، بيروت: دار الرافدين، ص59 – 60.

(64) العين، 362/ 1.

(65) المعجم اليمني، ص147؛ ذاكرة المعافر، مفردات خاصة من اللهجات اليمنية لبلاد المعافر (الحجرية)، ص37.

(66) الهمداني، الحسن بن أحمد: **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء**، بعناية د. يوسف محمد عبدالله، ط1، صنعاء: مكتبة الإرشاد، 2003، ص132.

(67) ابن سينا: **القانون في الطب**، منشورات محمد علي بيضون، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999، 267/ 2

(68) القانون في الطب، 269 – 270.

المجلة العربية للعلوم الإدارية

Arab Journal of Administrative Sciences

رئيس التحرير: د. علي راشد المطيري

- صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٩٣ . ● First issue, November 1993.
- علمية محكمة تعنى بنشر البحوث الأصيلة في مجال العلوم الإدارية. ● Refereed journal publishing original research in Administrative Sciences.
- تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت ثلاثة إصدارات سنوياً (يناير - مايو - سبتمبر). ● Published by Academic Publication Council,Kuwait University,3 issues a year (January, May, September).
- تسهم في تطوير الفكر الإداري واختبار الممارسات الإدارية وإثرائها. ● Contributes to developing and enriching administrative thinking and practices.
- مسجلة في قواعد البيانات العالمية. ● Listed in several international databases.
- تخضع للتقييم الأكاديمي الخارجي. ● Reviewed periodically by international referees for high academic standards.

الاشتراكات

الكويت: 3 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات - الدول العربية: 4 دنانير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات
الدول الأجنبية: 15 دولاراً للأفراد - 60 دولاراً للمؤسسات

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

المجلة العربية للعلوم الإدارية - جامعة الكويت ص.ب: 28558 الصفاة 13146 - دولة الكويت
هاتف: Tel: (965)24827317 - أو 4734 / 4416 /24984415(965) - فاكس: Fax: (965)24817028
E-mail: ajas@ku.edu.kw - Web Site: http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajas